تعليمية الصوتيات العربية

Phonetics Learning Arabic

د/ كمال الدين عطاء الله

أستاذ محاضر (ب)

fares.amir2017@gmail.com

جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف (الجزائر)

تاريخ الإرسال: 2019/01/20 تاريخ القبول: 2019/01/23 تاريخ النشر: 2019/03/19

ملخص: تعرف اللغة العربية تطورا على مستوى مجالات تعليمها وتعلمها؛ شأنها شأن اللغات الأخرى، وهي ما تزال تعرف توسّعا ومواكبة للمستجدات العلمية والتغيرات الفكرية والبشرية؛ وهو ما أعطى إقبالا واسعا على تعلمّها سواء من قبل أبنائها أو من الشعوب الأخرى؛ هذا ما جعل البحوث التعليمية تُقارِب بين أصالة اللغة العربية وارتباطها بتراث حضاري وديني من ناحية، وبين مواكبتها لتطور الزمان والمكان وقدرتها على الصمود أمام التحديات والرهانات المختلفة من ناحية أخرى؛ خاصة في ظل النظريات اللغوية المتراكمة، والتكنولوجيا المعرفية المتجددة، وكذا استراتيجيات البقاء التي تغذّي الحروب اللغوية ذات الأبعاد الأمنية والإقتصادية والحضارية المختلفة. ومن هذا المنطلق تأسّس هذا البحث من أجل تقديم نموذج تيسيري لتعليم أصوات اللغة العربية لأبنائها ولغيرهم من الشعوب الأخرى.

الكلمات المفتاحية: اللغة; اللغة العربية; التعليمية; تعليم اللغة العربية; الصوتيات; علم الأصوات

Abstract **:** *The Arabic language has been developed at the level of its teaching, and learning, as are other languages., It is still expanding, and keeping abreast of scientific developments, and intellectual, and human changes. This has led to a great demand for learning by both; its natives, and other peoples. This also had made the scientific research trend-oriented approximates enter the originality of the Arabic language, and its connection to a cultural, and religious patrimony on the one hand, and its keeping up with the development of age and place, and its ability to withstand different challenges; especially under the accumulated linguistic theories, and knowledge technology, as well as, survival strategies that feed the Wars of language with different; security, economic, and civilizational aims. From this point; this research was established in order to provide a model for facilitating the teaching of Arabic Phonetic to its natives, and other peoples.*

Keywords: *language; arabic; education; arabic teaching; learning; phonetics; didactics.*

مقدمة:

يؤرخ للعربية إلى تلك الأقوام التي استوطنت الأرض بعد الطوفان، لكن أهمها تلك التي تعود إلى نبي الله إسماعيل واختلاط لسانه بقبيلة جُرْهم التي شبّ بها وصاهر منها؛ ومنْه بدأت فروع العربية تنتشر في بقاع الأرض إلى أن استقرّت لغاتها في الجزيرة العربية.

وقد عرفت اللغة العربية نموًّا وتطوّرًا صاحبه مؤثّرات مختلفة؛ اقتصادية واجتماعية ودينية وحضارية؛ حيث بلغت العربية قمّة فصاحتها وبلاغتها في زمن -النبي صلى الله عليه وسلّم-، وبقيت كذلك ردحا من الزمن بعد وفاته، لكنها ما لبثت أنْ عرفت فسادًا كان سببه اختلاط العرب بالأعاجم ودخول غير العرب في الإسلام.

هذا الاختلاط بين العرب وغيرهم من الشعوب الأخرى أفرز ظاهرة لغوية تُخالف اللغة العربية في فصاحتها وبلاغتها بل تتعداها إلى سوء قراءة وفهم القرآن الكريم؛ وهو ما دفع العلماء إلى وضع منهج لغوي للحفاظ على لغة القرآن من ناحية ولتصحيح وضبط اللسان الناطق بالعربية من ناحية أخرى.

ومع توسّع رقعة الدولة الإسلامية وتفوّقها في شتى المجالات بدأت تبرز الحاجة لتعلّم اللغة العربية وتعليمها، سواء لغاية دينية أو لغايات أخرى؛ علمية، واجتماعية، واقتصادية مختلفة. وهو ما مهّد لظهور مدارس مختلفة تعنى بتعليم اللغة العربية وعلومها.

المدرسة الأولى في تعليم العربية:

تبدأ هذه المرحلة بشيوع اللحن[1] في الجزيرة العربية؛ أين اتّسع اختلاط العرب بغيرهم، وسكنَ الأعاجم في جزيرة العرب؛ حيث تروي كتب التراث اللغوي روايات متعددة في الخطوات المنهجية الأولى التي تصدى بها المسلمون لهذه الظاهرة، بدءًا بما رُوي عن أنّ رجلا لَحَنَ بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم فقال" أَرْشِدُوا أَخَاكُمْ إِنَّهُ قَدْ ضَلَّ "[2] في دلالة على طلب تصحيح وتصويب لغته. وفي زمن الصحابة شاع اللحن كثيرا، وبدأت الخطوات العمليّة لمعالجة هذه الظاهرة [3] تبعها العديد من العمليات الأخرى التي مهّدت لظهور درس العربية.

ومن بين الوسائل العمَليَّة التي استخدمَها المسلمون لمحاربة اللحن وضبط اللُّغة العربيَّة وتعليمها لأبنائها ولغير أبنائها:

- نقط الإعراب: وقام بهذه المهمّة[4] أبو الأسود الدؤلي (ت69ه)؛ حيث استحضَر كاتبًا من عبد قيس وأمره أنْ يتناول المصحف وقال له":خُذ المصحف وصبغًا يُخالف لونَ المداد، فيضع نقطة فوق الحرف إذا رآه يفتح شفتيه (الفتحة)، وتحت الحرف إذا رآه قد خفض شفتيه (الكسرة)، وبين يدي الحرف إذا رآه يضم شفتيه (الضمة). أما إذا أتبع الحرف الأخير غنّة فينقط نقطتين فوق بعضهما (التنوين). أما الحرف الساكن فقد تركه (عدم النقط علامة للسكون)"[5] ثم اخترع أهل المدينة بعد ذلك علامة التشديد وهي قوس طرفاه إلى أعلى[6]؛ حيث تمثّل دور النّقط عند (أبي الأسود) للدلالة على الحركات الإعرابية.
- نقط الإعجام (التمييز بين الحروف المتشابهة): جاء تلميذ (الدؤلي) نصر بن عاصم (ت89ه) ومعه يحي بن عمرو (ت90ه) لِإزالة اللَّبْس بين الحروف المتشابهة مثل (الباء، التاء، الثاء وغيرها، وعددها خمسة عشر حرفا) باعتبارها لا تحمل علامة مميّزة، فقام بإعجامها (نقطها)؛ بأنْ وضع النُّقط على مُتشابِهها (فوقها وتحتها كما هي معروفة إلى الآن) "لتمييز الحروف المتشابهة بالرسم بوضع علامة عليها لمنع اللبس"[7]. إلا أن ذلك أفرز لبسًا عند المتعلم في كيفية التمييز بين نقط الإعراب ونقط الإعجام لكثرتها وتشابهها، فكان لا بد من عمل آخر يزيل هذا اللبس.
- التشكيل (الحركات): قام الخليل بن أحمد الفراهيديُّ (ت170ه) بالفصل بين نقط الإعراب ونقط الإعجام، ووضعَ أشكال الحركات المعروفة إلى الآن؛ فقد أبدل نقط الإعراب التي وضعها (أبو الأسود) بجرّات علوية وسفلية للدلالة على الفتح (ـَ) والكسر (ـِ)، وبرأس واو للدلالة على الضم (ـُ)، فإذا كان الحرف المحرَّك مُنوّنًا كرّرت العلامة فكتبت مرّتين فوق الحرف (ـً) أو تحته (ـٍ) أو أمامه (ـٌ)، أما السُّكون الخفيف (الذي لا إدغام فيه) فاصطلح أن يكون رأس خاءٍ بلا نقطة (ـْ) أو دائرة (ـ٥ـ) وأما

السُّكون الشديد (الذي يصاحبه إدغام) على هيئة رأس حرف شين بغير نقط (ّ)، وللهمزة رأس عين (ء) لقرب ما بين الهمزة والعين في المخرج، وألِفُ الوصل رأس صاد (ٱ)، وللمد الواجب ميما صغيرة مع جزء من الدال، وهكذا وضع (الفراهيدي) ثمان علامات وهي:-الفتحة والكسرة والضمة والسكون والشدة والمدة وعلامة الصلة والهمزة[8] وبقيت طريقة (الخليل) في ضبط الحروف العربية متداولة إلى الآن.

وإنْ كان ما ذكرناه عملية قام بها العلماء من أجل ضبط معايير اللغة العربية، إلا أنها تعد الطريقة الأولى في تعليم اللغة العربية وخاصة لغير العرب؛ فالنقط والتشكيل عاملان مهمّان في تيسير قراءة الكلمة العربية وتبيّن مدلولها، وهذا ما لم يكن يحتاجه العربي الذي كان يملك ثروة لغوية هائلة ومخزونًا مِنَ المجازات المتنوّعة، وسليقة منتهية في إعراب الكلام؛ فلا يحتاج إلى من يَعرب له القول ولا إلى معلّم يفك له الكلمات غير المنقوطة أو المشكولة أصلا في كلام العرب حينها، وحتى النُّسخ التي دُوّن بها القرآن الكريم لم تكن منقوطة أو مشكولة؛سواء في زمن أبي بكر الصديق(ت13ه) أو عثمان بن عفان (ت35ه) رضي الله عنهما؛ مما يبيّن حصافة العربي وبداهته في قراءة اللغة العربية وإدراكها دون الحاجة إلى أمور مساعدة أخرى.

وتسارعت بعدها البحوث اللغوية على مستوياتها المتنوعة والمتكاملة، وأُلِّفت كُتبًا ظلّت ولا تزال مصادر ثمينة وغنيّة لا غنى عنها في تعلّم وتعليم اللغة العربية لأبنائها ولغير أبنائها[9] حتى وإنْ تطورت البحوث والدراسات العلمية اللسانية المعاصرة إلا أنّ ذلك لا يمنع مِنْ وجود اتصال قوي بين ما قام به القدامى مِنْ جهود في التقعيد لعلوم اللغة العربية وتعليمها، وما جدّ به المحدثون أو المعاصرون مِنْ دراسات واكبت زمانهم علميًّا وحضاريًّا، وأعطت للعربية مكانة كبيرة بين لغات العالم، سواء على مستوى العلوم أو على مستوى الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والحضارية عامة.

دوافع تعلم اللغة العربية:

يرتبط تعلم العربية بعوامل متعدّدة؛ فهي لغة القرآن الكريم، فلا سبيل لفهم القرآن والسُّنّة، وبلوغ رتبة الاجتهاد في علوم الدين إلا بإتقان العربية؛ يقول (ابن تيمية ت728ه) "فإنَّ نَفْس اللُّغة العربية من الدِّين، ومعرفتها فرضٌ واجب؛ فإنَّ فَهْم الكتاب والسُّنة فَرْض، ولا يُفهَم إلاَّ بِفَهم اللُّغة العربية، وما لا يتمُّ الواجب إلاَّ به فهو واجب"[10] فتعلُّم العربية فرْضٌ؛ فهي السبيل لفهم الدين.

وتكتسي اللغة الغربية مكانة علمية وحضارية؛ حيث يذكر التاريخ مدى تطوّر العرب في العلوم المختلفة حتى أصبحت البلاد العربية محَجًّا لمريدي المعرفة مِنْ كل أقطار العالم، كما أنّ العديد مِنَ العلوم الحديثة برزت –تراكمًا- على أبحاث عربية سبقتها بقرون؛ مثال ذلك: علم البصريات والرياضيات عند ابن الهيثم (ت430ه)، الخوارزميات (نسبة إلى الخوارزمي ت232ه) التي لاغنى عنها في مختلف الاختراعات الحديثة والمعاصرة وخاصة الرقمية، وهو ما دفع بمراكز القرار في الغرب لتبنّي سياسات لغوية تهتم بحوسبة اللغة العربية؛ وإنْ كانت خفاياها ذات أبعاد أمنية واقتصادية بالدرجة الأولى.

كما أنّ العلاقات الدولية والمناصب السياسية في الهيئات الدولية والدبلوماسية أضحت تتعامل بحرص مع اللغات التي تستقطب مناطق متعددة في العالم، وتحقق تواصلًا على مختلف الأصعدة، والتقدّم الحاصل في ميادين اللسانيات يثبت تفوّق اللغة العربية، ولعل أحدثها؛ تصنيف الأمم المتحدة للّغات الستة الأولى في العالم؛ والتي من بينها العربية، إضافة إلى تعريب أرشيفا الولايات المتحدة الأمريكية و رُوسيا بحجّة ثبات[11] اللغة العربية وقدرتها على الصمود في وجه المتغيّرات والمستجدّات في مختلف المجالات. وفي فرنسا صدر كتاب لجون بريفوست **Jean Prévost (Nos ancêtres les Arabes-Ce que notre langue leur doit)** بحث في أصول اللغة الفرنسية وكيف استعارت العديد من الألفاظ العربية، وهو ما يرجّح جانبًا من فرضية تبني سياسة تدريس اللغة العربية في المؤسسات التعليمية بفرنسا.

ومِنَ الناحية الاقتصادية تتمتّع البلاد العربية أو تلك التي لها أصول وروابط حضارية معها بمقوّمات اقتصادية جعلت مِنَ الأمم الأخرى تسعى لتعليم العربية مِنْ أجل اكتساب فوائد اقتصادية على غرار الاستثمارات والمعاملات التجارية، وهو ما حدى بالعديد مِنَ الدول إلى تدريس اللغة العربية في منظوماتهم الأكاديمية، أو في مراكز متخصصة؛ ففي فرنسا تم تعميم تدريس اللغة العربية، وفي تركيا اهتمام كبير بتعليم اللغة العربية نظرا للروابط التاريخية والحضارية المشتركة مِن ناحية، والاستقطاب السياحي والاقتصادي مِن ناحية أخرى.

خطوات تعليم اللغة العربية:

قبل البدء في عملية تعليم اللغة العربية لا بدّ مِنْ تخطيط منهجي يميّز بين تعليمها لمن نشأ في بيئة عربية وتربّى بها، ومَن اختلط بها لاحقًا، ومَن له دوافع مِن أجل تعليمها (اللغة المتخصصة).

على مستوى الأصوات:

المحدثون والمعاصرون على خلاف القدامى يبدؤون مباحثهم اللغوية بالدرس الصوتي باعتبار الصوت الوحدة الأساسية في البناء اللغوي، ويبدؤون بالمخارج الشفوية عكس الأوائل الذي اهتموا بالمخارج الجوفية، وبدؤوا بحثهم بالدرس النحوي، وهو منهج اقتضته تلك المرحلة؛ حيث كان لا بدّ منه حينها منْ أجل تصويب اللسان الذي انحرف باللحن والفساد اللغوي.

وتعليم الأصوات العربية يحتاج إلى معرفة خصوصية هذه اللغة قبل البحث في ماهية الأصوات ومخارجها، وصفاتها، وخصائصها الفزيائية، وعلاقاتها التجاورية والتنافرية، ومشكلاتها المختلفة؛ فالصوت العربي على عكس الأصوات في اللغات الأخرى، يحمل حمولة صرفية ونحوية ودلالية وبلاغية في آن واحد؛ فقد يكون للصوت منفردًا دلالة نحوية وصرفية وبلاغية؛ كما في (فِ) من الوفاء، (عِ) من الوعي، و (قِ) من الوقاية؛ وهي أفعال أمْر حُذف منها حرف العلة وجوبا، وفاعلها ضمير مستتر تقديره أنت.

وقبل تعليم الأصوات العربية لا بدّ من الإشارة إلى أنّ عدد أصوات اللغة العربية عند القدامى تسعة وعشرون صوتا صحيحا[12] مرتّبة مِنَ الحلق إلى الشفتين، وهي عند المحدثين ثمان وعشرون صوتا[13] مرتّبة مِن الشفتين إلى الحلق، وعلماء اللغة لا يعدُّون الألف مع الحروف؛ لأنه لا يعبّر عن لفظة معيّنة إنما حركة طويلة (حرف علّة). أمّا الواو والياء، فيمكن أنْ يشكّلا لفظة واحدة أو حركة طويلة[14]، كما يستخدم اصطلاح

"الأصوات العربية" وليس "الحروف العربية"؛ فالحرف هو هيئة للصوت[15] قد يتغير حسب طبيعة الكتابة وليس هناك أي علاقة اطرادية بينهما؛ ولعل تباين الكتابة بين البشر عامّة وأبناء المجتمع اللغوي الواحد لدليل على وحدة الصوت وتغيّر سماته؛ كما أنّ وجود أكثر من شكل للكتابة الصوتية مثال: الهمزة (ء، ؤ،أ، آ، إ، ئـ، ئ، ـئـ) يؤكد ذلك.

صورة توضيحية لمخارج الحروف العربية[16]

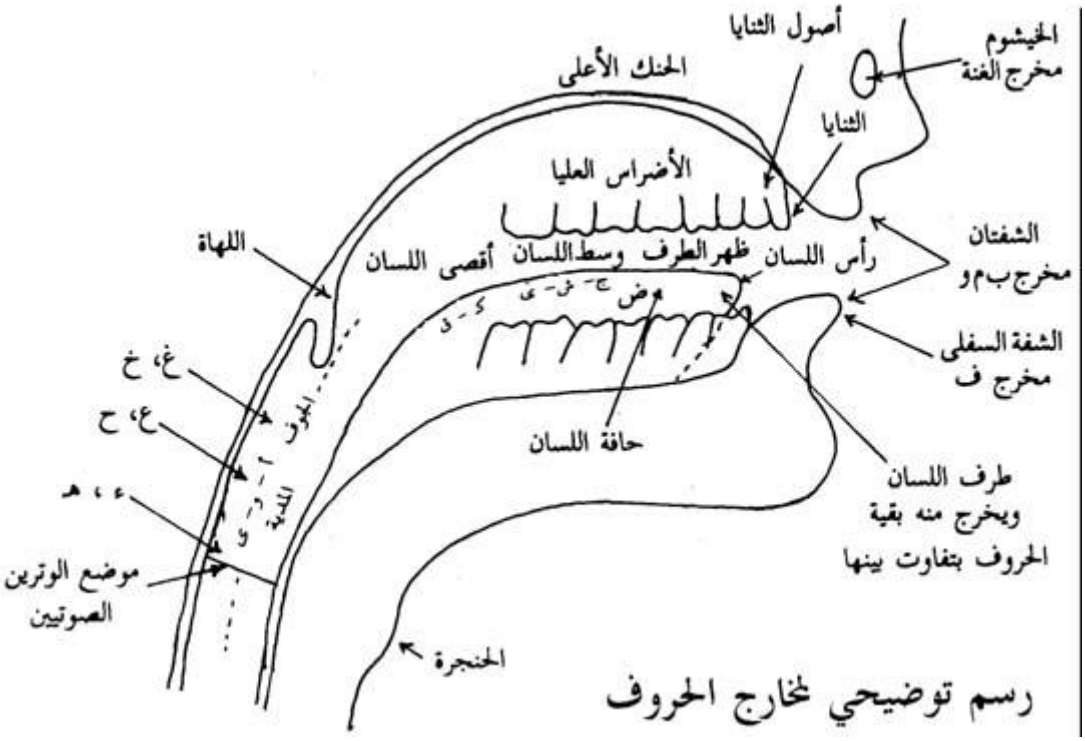

خطوات تعليم الأصوات العربية:

- تحديد طبيعة المتعلّم: لا بد من التمييز بين الذي نشأ في بيئة عربية والذي نشأ في غيرها.
- تحديد كيفية نطق الأصوات حسب مختلف الحالات الإعرابية بالحركات (الضمة، الكسرة، الفتحة) (يوضّح الجدول الآتي كل الحروف العربية وكيفية نطقها، وأشكالها في بداية ووسط وآخر الكلمة العربية):

الحرف	اسمه	في بداية الكلمة	في وسط الكلمة	في آخر الكلمة	شكل آخر
ا	أَلِفْ	ا	ـا	ا / ـا	
ب	باء	بـ	ـبـ	ب	
ت	تاء	تـ	ـتـ	ت	ة
ث	ثاء	ثـ	ـثـ	ث	
ج	جيم	جـ	ـجـ	ج	

ح	حاء	حـ	ـحـ	ح	
خ	خاء	خـ	ـخـ	خ	
د	دال	د	ـد	د	
ذ	ذال	ذ	ـذ	ذ	
ر	راء	ر	ـر	ر	
ز	زاي	ز	ـز	ز	
س	سين	سـ	ـسـ	س	
ش	شين	شـ	ـشـ	ش	
ص	صاد	صـ	ـصـ	ص	
ض	ضاد	ضـ	ـضـ	ض	
ط	طاء	طـ	ـطـ	ط	
ظ	ظاء	ظـ	ـظـ	ظ	
ع	عين	عـ	ـعـ	ع	
غ	غين	غـ	ـغـ	غ	
ف	فاء	فـ	ـفـ	ف	
ق	قاف	قـ	ـقـ	ق	
ك /ک	كاف	كـ	ـكـ	ک	ك
ل	لام	لـ	ـلـ	ل	
م	ميم	مـ	ـمـ	م	
ن	نون	نـ	ـنـ	ن	
ه	هاء	هـ	ـهـ	ه / ـه	ھ / ه
و	واو	و	ـو	و	
ي	ياء	يـ	ـيـ	ي	
ء	همزة	ء	ـئـ /أ/إ/ؤ/ئ	ء /ئ/ؤ/أ	آ

- هنا تبدأ عملية الكتابة؛ وتتزامن مع تعلّم نطق كل صوت على حدى، ويلزم تحديد رموز الحروف العربية وكيفية كتابتها باللغة الأجنبية لغير العربي؛ بمقابلة الصوت العربي والصوت الأجنبي وكيفية كتابته باللغة الأجنبية وبالأبجدية الدولية كما هو موضح في الصورة الآتية[17]:

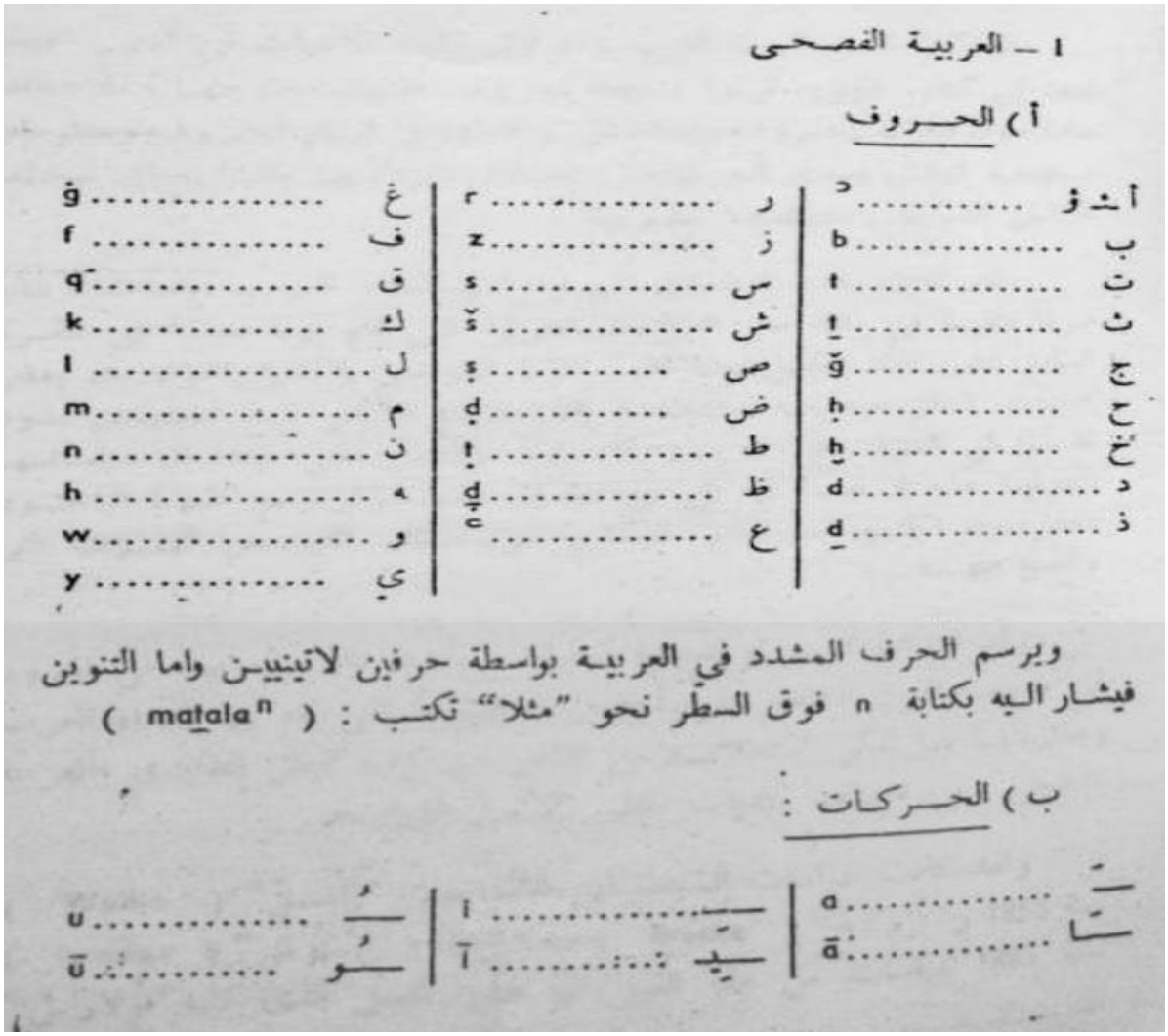

- تحديد الظواهر التي تؤثر على الأصوات من خلال ورودها في سياقات معينة (مثال : سكون الحرف بسبب الجزم أو عروضيا (موسيقيا) أو في الروي ،التفخيم، الترقيق، الإخفاء الظهور، الإدغام، المد..
- تحديد المظاهر الوظيفية (الفونولوجية) للأصوات العربية؛ كائتلاف وتلاؤم بعض الأصوات وتنافر أخرى؛ كأصوات لا تأتلف تجاورا في كلمة واحدة وإن ائتلفت دلّت على عدم عربيتها؛ فلا تجتمع بعض الأصوات العربية في نفس الكلمة سواء على مستوى التجاور أو على مستوى التباعد، وإن اجتمعت فهو دليل على عدم أصالة اللفظة وعدم عربيتها؛ ومثال ذلك: تجاور: (ج/ص) مثل: لفظة (صولجان)، (ج/ط) مثل طازج، (ج/ق) مثل منجنيق، (ن/ر) مثل نرجس، (د/ز) إذا وقعتا في آخر الكلمة مثال مهندز. يقول الجاحظ (ت 255ه) في "البيان والتبيين" عند تعرضه لعيوب النطق[18]:"فأما اقتران الحروف فإنّ الجيم لا تقارن الظاء ولا القاف ولا الطاء ولا الغين بتقديم و لا بتأخير، والزاي لا تقارن الظاء ولا السين ولا الصاد ولا الذال...)[19]، وأمّا ابن جني (ت 392ه) فوضّح طريقة التعرف على الكلمة الدّخيلة في اللغة العربيّة، يقول: "إذا رأيت كلمة رباعيّة أو خماسية من غير ذي زوائد معراة حرفًا من حروف الذّلاقة، اللاّم، والرآء، والنّون، والفاء، والباء، والميم، فاقض بأنّها دخيلة في كلام

العرب"[20]، وضرب مثالا: الفرزدق. أمّا ابن دريد (ت321ه) فيقول: "لم نأتلف القاف والكاف في كلمة واحدة إلا بحواجز، وكذلك حالها مع الجيم-القاف والكاف جاءت مع الشين-جمعوا بين الشن والجيم-الحروف إذا تقاربت مخارجها كانت أثقل على اللسان منها إذا تباعدت – الحاء والعين لم تأتلف في كلمة واحدة[21]،

- الشدّة تمثّل حرفا واحد في العربية (دّ/تّ/نّ) اختصار لحرفين، يقابلها في اللغات الأوربية حرفان مثال: (ss/pp/ll/tt/nn/mm/ff/bb/cc/rr) أو تحمل رمز النّبر(ˈ) الذي يعد سِمة فونولوجية في اللغات الأوربية؛ بحيث يغيّر دلالة اللفظة فينقلها من الأسماء إلى الأفعال أو الصفات، وهو ما لا يمكن أبدا تصوره في اللغة العربية "النبر ليس فونيما في اللغة العربية...لا يؤدي انتقاله من مقطع إلى مقطع إلى تغيير المعنى"[22] عكس اللغات الأجنبية ومنها الأوربية ومثال ذلك كلمة الإنجليزية، فإذا وضعنا النبر على المقطع الأول كانت اسمًا، وإذا وضعناه على المقطع الثاني كانت فعلًا[23] والارتكاز على فونيم معين في اللغة العربية الفصحى لا علاقة له بمصطلح "Stress" في الصوتيات الغربية، بل يدخل في دراسات التنغيم عبر دراسة كمية ودرجة الصوت وتأثيره على الدلالة الداخلية للفظة أو العبارة.
- لا تبدأ الكلمة العربية بصوت أو صوتين ساكنين، ولا يجتمع الساكنان في وسط الكلمة. (وهو ما قد يمثّل مشكلة تعليمية لغير العرب وخاصة في اللغات الأوربية أين يمكن أن تبدأ الكلمة بثلاثة سواكن.
- قد يصعب التفريق النطقي بين بعض الأصوات العربية؛ مثال: (الظاء) و(الضاد)، وهو ما يؤثر على استخدامه الذي يتولد عنه أخطاء في الكتابة، فقد لا يفرق بين (ظل) و(ضل) في النطق مما يؤثر على المعنى؛ لذلك لا بد من تحديد مخرج كل صوت بدقة فـ(الظاء) مخرجها مقدمة اللسان، و(الضاد) من إحدى حافتي اللسان أو سقف اللثة كما عند المحدثين.
- قد يثير صوت (ب) مشكلة فونيمية وألوفونية عند غير العربي؛ ففي اللغتين الإنجليزية والفرنسية يوجد صوتان متقاربان جدا في المخرج (b/p)، لذلك قد يشكل عليه النطق الصحيح لبعض الكلمات العربية. وأمّا عند العربي فسمّاها (ابن جني) بالأصوات المستقبحة وسمّاها المحدثون بالأصوات المتحولة؛ ومنها نطق (الباء) مثل الأعاجم (p).

وما يعسر على غير العربي النطق به يمكن استظهاره طبيعيا كما في صوت (الهاء) الذي يتوفر لدى جميع البشرية كتعبير عن التعب الشديد بعد الركض (اه اه اه) أو عند الضحك الشديد (ها ها ها)، وصوت (الحاء) كتعبير على الألم عند الوخز الشديد (اح اح اح)، و صوت (الخاء) عند الاختناق (اخ اخ اخ)؛ وصوت الغين عند الغرق (اغا غ اغ)؛ وهو ما يؤكد وجود الكليات الصوتية عند البشر. وقد بيّن ابن سينا (ت428ه) في كتابه (أسباب حدوث الحروف) أنّ هناك حُروفًا قد تُسمَع مِنْ حركاتٍ غير نطقيّة؛ فـ**الهَاءُ** تسمعُها عند اندفاع الهواء بقوة في نفس الهواء، و**العَيْنُ** تسمعُهُ عند اندفاع الهواء بقوة في الماء، و**الحَاءُ** عند إخراج الهواء من كل مضيق مستعرض رطب، وعن إمرار يدك على جسم ليّنٍ خَشنٍ إمرارًا منبسطًا، و**الخَاءُ** عن حكّكَ جسمًا جافًّا بجسمٍ صلبٍ...و**القَافُ** عند انشقاق الأجسام...و**الغَيْنُ** عند سيلان الرطوبات في المجاري المعتدلة الضيق...و**الكَافُ** تسمعها عن قرع جسم صَلْبٍ بجسمٍ صَلْبٍ، و**الجِيمُ** عن وقع رطوبات على

رطوبات، **والشّينُ** عن نشيش الرطوبات العديمة اللزوجة... **والضّاد** عن انفلاق فقاقيع كبار من الرطوبات اللزجة، وعن انشقاق الأوراق...**والسّينُ** عن مسّ جرْم يابسٍ صقيل فيه خشونة خفيّة بجرْم آخر مثله...وعن النفخ...وإنْ ضُيِّقت بالسدّ سُمع **الثّاء**...وإنْ وضع في وجهها سُمع **الزَّايُ**، فإن سُدّت مع إرخاء المهتز عليها سُمِع **الذّالُ**، **والطّاءُ** بتصفيق اليدين... **والتّاءُ** عن قرع اليد بأصبع بقوّة، **والدّالُ** عن أضعفَ منه، **والرّاءُ** عن ارتعاد ثوبٍ معرّضٍ لريحٍ قويّة...**واللّامُ** عن لَطْمِ الماء باليد... **والفَاءُ** عن حفيف الأشجار وما أشبهها، **والبَاءُ** عن قلع الأجسام اللينة المتلاصقة بعضها عن بعض[24] وفي هذا كله بيان لطبيعة الأصوات اللغوية العربية التي توجد في الكون وتَصدُرُ عن عوامل مختلفة.

إننا نعتقد بوجود أحياز صوتية في الدماغ في مناطق مختلفة منه تتّحد عند إصدار صوت معين مِن أجل إعطائه الصفة والصورة المناسبة للنطق، باعتبار أننا نقر بوجود مناطق جمالية بدماغ الإنسان هي المتحكمة في إنتاج المخرجات المدمجة بغرض تجسيدها نطقيًّا في تعابير لفظية جمالية تؤثر في السمع تنغيمًا وتحديدًا لدلالات معينة، وما الفصاحة، والبلاغة، والجوامع الكلمية، والخطابات الرنانة الكلم إلا صورة لهذه العمليات.

أهميّة الوسائط التكنولوجية المتجددة في تعليم الأصوات:

مع تقدم العلم الحديث في مجال الآليات، وميكانيكا المحاكاة، وكذا الأجهزة والأنظمة الرقمية المتطورة، التي لها تقنيات فائقة الدقة في التعبير عن المدخلات والمخرجات اللغوية؛ استثمرت البحوث اللسانية المعاصرة ذلك عبر إقامة جسور معرفية بين اللسانيات وعلوم الحوسبة والذكاء الاصطناعي مما أنتج تقدمًّا كبيرًا على مستويات اللغة عامة، وأسهم في تطوير الدرس اللغوي وتعليمه.

وقد قدّمت مختبرات الصوت التعليمية نتائج جد مرضية في تعليم النطق الصحيح لأصوات اللغة العربية باستعمال الأجهزة المختصة في تحليل الأصوات مثل الأوسيليجراف، الكيموغراف وغيرها... وظهرت تطبيقات وبرامج لتعليم اللغات عامة والأصوات خاصة؛ منها ما يدعم اللغة العربية؛ على غرار تطبيقات: (busuu)، (Mangolanguages)، (speaky)، (Rocket languages)، ويمكن تحميل هذه التطبيقات على الهواتف الذكية عبر نظام Google play.

إنَّ المشكلة التي تواجهنا اليوم هي أننا لا نستعمل العربية الفصحى في لغتنا العربية المعاصرة إلا كِتَابةً فقط؛ أين نحافظ على معايير البناء اللغوي، وأما على مستوى القِرَاءة فلا نلمس القراءة الفصيحة إلا في تلاوة القرآن الكريم فقط؛ وهو يثير تساؤلا حول جدوى تعليم الظواهر الصوتية كالإدغام والتفخيم والترقيق والإعلال والقلب وغيرها خاصة عند غير العربي الذي يرغب في تعلّمها لأغراض غير دينية؛ فقد يتساءل المتلقي عن خلفية هذا الحكم، ونقول لماذا لم يتفاجأ العرب في زمن النبي صلى الله عليه وسلّم بأصوات العربية وظواهرها المختلفة وانبهروا ببلاغة مفردات وتراكيب وعبارات ومجاز القرآن الكريم، والأدلّة جلية في تأسيسهم لعلوم العربية واهتمامهم بالنحو والبلاغة لأن فصاحتهم لم تكن تتعارض مع فصاحة القرآن الكريم؛ فالعربي كان يستخدم الإدغام والإقلاب وغيرها في كلامه بصورة عادية. لذلك فعند تعليم

هذه الظواهر الصوتية لا بدّ من الإشارة إلى خصوصيتها التطبيقية في القرآن الكريم الذي لا تستقيم تلاوته إلا بأحكام وضوابط صوتية ثابتة، والتي لا وجود لها في خطاباتنا أو كلامنا الشفوي.

وفيما يلي بعض المؤلفات في تعلّم الأصوات العربية: "العين" للخليل (ت175ه)، و"سر صناعة الإعراب" لابن جني (ت392ه)[25] و"أسباب حدوث الحروف"، و"الشّفاء" لابن سينا (ت427ه)[26]، و"اللغة الشاعرة" لعباس محمود العقاد (ت 1964م)، و"الأصوات اللغوية" لابراهيم أنيس (ت1977م)، و"الدرس اللغوي عند العرب" لأحمد مختار عمر (ت 2003م)، و"مناهج البحث في اللغة" لتمّام حسان (ت2011م)، و"علم الأصوات" لكمال بشر (ت2015م)، و"دروس في علم أصوات العربية Cours De Phonétique Arabe " لجان كانتينو Jean Cantineau ، و"فقه اللغة العربي Traité de Philologie Arabe" لهنري افلاش Henri Fleisch ... وهناك مؤلفات أخرى –لا يمكن حصرها- بَرَع أصحابها في بيان الدرس الصوتي عند العرب.

خاتمة

إنّ عالمية وخلود رسالة الإسلام هي من ستُوصل اللغة العربية إلى كل لسان؛ لا سيما وأن إعجازه العلمي يثبت يوما بعد يوم عظمة الخالق سبحانه؛ حتى وإن تنوعت أساليب الحروب اللغوية المنتهجة بأبعاد سياسية أو عرقية أو اقتصادية مختلفة، إلا أن اللسان العربي يتفوق على اللغات الأخرى بثبات مخزونه اللغوي ودقة قواعده وامكانية استيعاب مستجدات العلوم واللغات الأخرى ترجمة و تعريبا، وتبقى مهمة تعليم العربية رهان يقتضي الإيمان بعظمة اللغة العربية وأهمية تعلّمها وتعليمها، على الرغم من حملات التغريب التي تواجهها من أصحاب اللسان الأعجمي عرب كانوا أم عجم إلا أن لسان حالهم يدرك قيمة هذه اللغة التي حملت علوما عديدة لقرون مديدة.

---

1 اللحن هو الخطأ في اللغة؛ يقول الزمخشري: "لحن في كلامه، إذا مال به عن الإعراب إلى الخطأ" ينظر: الزمخشري (محمود بن عمر) (ت538ه)، أساس البلاغة، دار الكتب، القاهرة، مصر، 1923م، ص406.

2 نقلا عن: ابن جنّي، الخصائص، تحقيق محمّد علي النّجار، دار الهدى، بيروت، ط2، د.ت، ج2، ص8. (والحديث المذكور ذكره ابن جنب بلفظ (زعموا أن رجلا..)، وهذ الحديث ضعفه المحدثون.

3 روايات عديدة تروى عن بدايات التقعيد لعلم العربية، وكلها تتعلق بأبي الأسود الدؤلي عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أو مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه، أو مع زياد، لكن الراجح هو شيوع اللحن ، وهناك من المعاصرين من يرى بأن الخليل هو صاحب علم النحو الذي نعرفه اليوم، يقول أحمد امين"ويظهر لي أن نسبة النحو إلى أبي الأسود لها أساس صحيح، وذلك أن الرواة يكادون يتفقون على أن أبا الأسود قام بعمل هذا النمط، وهو أنه ابتكر شكل المصحف...وواضح أن هذه خطوة أولية تتماشى مع قانون النشوء، وممكن ان تأتي من أبي الأسود، وواضح كذلك أن هذا يلفت إلى النحو، فعمل أبي الأسود يسلم إلى التفكير في الإعراب و وضع القواعد له...وأنّ هذه الأمور لما توسع العلماء فيها بعد، وسمّوا كلامهم نحوا، سحبوا اسم النحو على ما كان قبلُ من أبي الأسود، وقالوا: إنه واضع النحو للشبه في الأساس بين ما صنع وما صنعوا، وربما لم يكن يعرف اسم النحو بتاتا...إنما الذي كان له الفضل الكبير في ذلك الخليل بن أحمد ذو العقل الجبار المبتكر الذي قل أن يوجد له نظير في علماء ذلك العصر ...وهو الذي عمل النحو الذي نعرفه إلى اليوم" ينظر: أحمد أمين، ضحى الإسلام، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط10، ج2، ص286/285.

4 قام أبو الأسود الدؤلي بإحداث الشكل في الخط الكوفي سنة 67ه...بأمر من زياد في زمن الخليفة معاوية بن أبي سفيان، ينظر: سهيلة الجبوري، الخط العربي وتطوره في العصور العباسية، مطبعة الزهراء، بغداد، العراق، 1962م، ص56

5 سهيلة الجبوري، نفسه، 57/56، ينظر أيضا: غانم قدوري الحمد، رسم المصحف "دراسة لغوية تاريخية"، جامعة بغداد، ط1، 1982م، ص492.

6 سهيلة الجبوري، نفسه، ص57.

7 تم اعجام الحروف في زمن خلافة عبد الملك بن مروان، وبأمر من الحجاج بن يوسف الثقفي، ينظر: سهيلة الجبوري، الخط العربي، ص58.

8 ينظر: سهيلة الجبوري، نفسه، ص60.

9 لا نحبذ مصطلح "غير الناطقين بها"، فليست اللغة في ما ينطق فقط، بل تتعدى ذلك إلى مخرجات ومدخلات منطوقة وغير منطوقة، لسانية وسميائية.

10 تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، تحقيق: ناصر بن عبد الكريم العقل، مكتبة الرشد، الرياض، السعودية، ط1، 1404ه، ج1، ص 469.

11 أثبتت جامعة برمنجهام أن كل اللغات تحوي صفات ذاتية فيها، تؤدي إلى تطورها وتغيرها عبر الأزمان، لأنهم يرون أنّ لكل لغة عمرا كعمر الإنسان من الطفولة إلى الكهولة ثم الموت، وقد أثبتوا أن العربية خالية من هذه الأسباب، لأنها تحوي سمات تجعلها تجدد نفسها من داخلها لتناسب العصر والتجديد...هذه المميزات هي الاشتقاق والترادف والتعريب وغيرها من الآليات التي تستخدمها العربية لتجدد خلاياها حتى تناسب العصر والمحدثات، مع احتفاظها بأصولها والفاظها وقواعدها، فهي لغة العلم والأدب والحضارة. ينظر: محمد عبد الشافي القوصي، عبقرية اللغة العربية، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، إيسيسكو، الرباط، المغرب، 2016م، ص64.

12 يقول الخليل "فالعين، والحاء، والهاء، والخاء، والغين **حَلْقيّة**، لأنّ مبدأها مِنَ الحَلْق، والقاف. والكاف **لهَويتان**، لأنّ مخرجهما اللّهاة. والجيم، والشين، والضاد **شَجْرية**، لأنّ مخرجها من شَجْر الفم، أي مفرج الفم. والصاد، والسين، والزاي **أسليّة**، لأنّ مبدأها من أسلة اللسان وهي مسْتدَق طرف اللسان. والطاء، والتاء، والتاء **نطْعية**، لأنّ مبدأها من نطع الغار الأعلى، والظاء، والذال، والثاء **لِثَوية**، لأن مبدأها من اللثّة. والراء، واللام، والنون **ذَلْقية**، لأنّ مبدأها من ذلق اللسان، وهو تحديد طرق ذلق اللسان. والفاء، والباء، والميم **شَفَوية**. والياء، والواو، والألف، والهمزة هوائية في حيّز واحد، لأنها لا يتعلّق بها شيء) الخليل، كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي وابراهيم السامرائي، دار الرشيد للنشر، العراق، 1980م، ج1، ص118/42. وأما (سيبويه) فيرتّب الأصوات العربية كالآتي: **أقصى الحَلْق**: الهمزة، الهاء، الألف، **وسط الحَلْق**: العين، الحاء، **أدنى الحَلْق**: الغين، الخاء، **أقصى اللسان (وما فوقه من الحنك الأعلى)**: القاف، **أقصى اللسان (وما تحته من الحنك الأعلى)**: الكاف، **وسط اللسان (بينه وبين الحنك الأعلى)**: الجيم، الشين، الياء، **حافة اللسان (وما يليها من الأضراس)**: الضاد، **حافة اللسان (من أدناها إلى منتهى طرف اللسان)**: اللام، **طرف اللسان (بينه وبين الضواحك)**: النون، **ظهر اللسان**: الراء، **طرف اللسان وأصول الثنايا**: الطاء، الدال، التاء، **طرف اللسان وفوق الثنايا**: الزاي، السين، الصاد، **طرف اللسان وأطراف الثنايا**: الظاء، الثاء، الذال، **باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا**: الفاء، **الشفتين**: الباء، الميم، الواو. سيبويه، الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون، عالم الكتب، بيروت، لبنان، 1966م، ص 434/433/173.

13 عددها عند المحدثين ثمان وعشرون صحيحة +ثلاثة حروف العلة، أي واحد وثلاثون، ينظر: تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، 1979م، ص90. وتقسيم الأصوات كالآتي: **شفوية Bilabial**: الباء، الميم، الواو، **أسنانية-شفوية Labio-Dental**: الفاء، **أسنانية Dental**: الثاء، الذال، الظاء، **أسنانية-لثوية Alveolar**: التاء، الدال، الضاد، الطاء، اللام، النون، **لثوية Liquids**: الراء، الزاي، السين، الصاد، **لثوية-حنكية Inter-palate**: الجيم، الشين، **وسط الحنك Pre-palate**: الياء، **أقصى الحنك Velar**: الخاء، الغين، الكاف، **لهوية Post-palate**: القاف، **حلْقية Pharynx**: العين، الحاء، **حنجرية Larynx**: الهمزة، الهاء، ينظر، كمال يشر، علم اللغة العام-الأصوات، دار المعرف، مصر، 1980م، ص89-90.

14 محمد عبد الشافي القوصي، عبقرية اللغة، ص39.

15 ابن سينا، أسباب حدوث الحروف، تحقيق: محمد حسان الطيان ويحيى مير علم، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 1983م، ص60

16 http://etqan-altajweed.blogspot.com/2015/05/blog-post_69.html يوم الثلاثاء: 2019/12/01 16.39

17 جان كانتينو، دروس في علم أصوات العربية، ترجمة: صالح القرمادي، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، الجامعة التونسية، 1966م ص9.

18 ذكر الجاحظ أن عيوب النطق ناتجة عن سرعة أو سبب عضوي (كسقوط بعض الأسنان)، أو لثغة (حروفها أربعة: القاف والسين واللام والراء؛ فلثغة القاف تكون بقلبها طاء، والسين بقلبها ثاء، واللام بقلبها ياء أو كافا، والراء بقلبها ياء أو عينا أو ذالا أو ظاء)، أما اللكنة فتظهر في كلام الأعجمي إذا نطق اللغة العربية؛ كنطق السندي الجيم زايا، والنبطي الزاي سينا والعين همزة، نقلا عن: أحمد مختار عمر، الدرس اللغوي عند العرب، ص99.

19 الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق موفق شهاب الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2003م، ج1، ص22-29، وينظر، أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب، ص100.

20 ابن جني، نفسه، ج: 01، ص 60.

21 أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط6، 1988م، ص95.

22 أحمد مختار عمر، نفسه، ص120.

23 أحمد مختار عمر، نفسه، ص166.

24 ابن سينا، أسباب حدوث الحروف، ص133-136.

25 يعود مصطلح (علم الأصوات) لابن جني، ينظر: ابن جني، سر صناعة الإعراب، تحقيق محمد حسن محمد وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2001م ص

26 قدم ابن سينا (427هـ) دراسة علمية فيزيولوجية لجهاز الأصوات، أسباب حدوث الحروف، ص02-10